الصنعة الفنية

عنترة شاعر يجيد الوصف، وخاصة ما كان له علاقة بالمعارك ومن يشترك فيها من أبطال وجياد وأسلحة. وكان ينشىء القصائد في شتّى المواضيع، ولكن كانت شخصيته القتالية دائماً هي الطاغية فيما يقول. وكانت عبلة هي المحور الذي ترتكز عليه علاقته بالحرب والشعر.

ولكثرة ما روي عن عنترة من حديث يفخر به أضحى شخصية خيالية يصعب التصديق بوجودها. غير أن هذه الشخصية لم تكن لتتغير في أيّ وقتٍ من الأوقات، بل إنها كانت ثابتة في كيانها في كل بيت من الشعر رواه الرواة عن عنترة، ولم يكن في هذه الشخصية ما يناقض الصورة المعروفة عنه، فهو شخصية محدّدة في أوصافها وخلالها وأعمالها.

وعندما أنشأ عنترة معلّقته، كان ذلك ردّ فعل

لذلك التحدّي الذي تقدَّم به عبسيّ؛ إذ اتّهم عنترة بأنه ليس بشاعر، فأراد عنترة أن يضيف إلى فروسيّته شاعريّته، فأنشأ القصيدة التي أعجبت العرب آنذاك فجعلوها من بين معلّقاتهم السبع أو العشر. وهذه مكانة سامية لم يكن من السهولة على العربيّ القحّ أن ينالها، فما بالنا بهجين ينافس العرب في لغتهم وشعرهم.

إن شاعرية عنترة تجلّت في هذه القصيدة، وظهرت مقدرته على التصوّر والخيال الرائع في كثير من الصور التي أبرزها في القصيدة، وهذا التصوير الرائع هو الذي جعل معلّقته من المعلّقات الخالدة. هذا بالإضافة إلى أنها كانت قصيدة شخصية أبرزت الصّفات الذاتية لقائلها حتى جعلتنا نلتهم أبياتها التهاماً، ونكاد نرى أنفسنا في كل معنى قصده عنترة.

لكن هناك بعض أوجه الصنعة الفنية في هذه القصيدة جعلت الكثير من قرّائها يعشقونها، وكانت أثيرة عند نفوسهم. وكانت الموسيقى اللفظيّة تصدح في بعض أبيات المعلّقة حتى لكأنما هناك أوركسترا تعزف ألحاناً رطبة تسبي القلوب. ومن بين تلك الأبيات:

حلّت بأرض الزّائرين فأصبحت

عَسِراً عليَّ طِلابُك ابنَة مخرم

عُلِّقْتُها عَرضاً وأقْتِل قومها
زَعْماً وربِّ البيت ليس بمزعم
ولقد نزلتِ فلا تظنّي غَيْره
مني بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمِ
كيف المزارُ وقد تربّع أهلُها
بعُنَيْزَتَيْنِ وأهلُنا بالغَيْلم
إن كنتِ أزمعتِ الفراقَ فإنّما
زمّتْ ركائبكُم بليلٍ مظلم

فهذه الأبيات ـ كما نرى ـ قد امتلأت بحرف الزين والقاف والعين بطريقة كوّنت إيقاعاً موسيقيًّا ذا جرسٍ قويّ.

هذه الموسيقى اللفظيّة أثْرت القصيدة بالعاطفة، وكانت متناسقة مع البحر الذي اختاره عنترة لمعلّقته. بل إنه كذلك أحسن اختيار القافية، وهي بالإضافة إلى أنها ميمية لها ترنيم موسيقي رائع، فهي أيضاً من القوافي التي يجد لها الشاعر كلمات كثيرة، فلا يحتاج إلى تعمّل أو إغراق في البحث عن كلمة مناسبة أو تكرار للفظة واحدة عدّة مرّات، مما يجعل القصيدة مُملّة ولو بعض الشيء. لقد كان عنترة موفقاً في بحره وقافيته، واستغلّ ذلك أجمل استغلال ونجح في إبراز شاعريّته.

أبدى عنترة تفوّقاً في اختيار الألفاظ التي يريدها، وقد وصف دار عبلة بأنها:

دار لآنسةٍ غضيضٍ طرفها
طَوْع العناقِ لذيذة المُتَبَسّمِ

وهذه من المزّات القلائل التي يستعمل فيها شاعر عربيّ جاهلي كلمة آنسة في شعره. وبزّ عنترة غيره حين كنى عن عبلة بأنها طوع العناق لذيذة المتبسم. ولعلّنا واجدون لذّة أيما لذّة في لفظة لذيذة التي أتى بها عنترة هنا، وقلّ أن استعملها غيره من الشعراء.

في كلمات عنترة جاذبية تحبّب شعره إلى القلب؛ إذ أنه بجانب ما في ألفاظه من معنى قريب يجيء عفو الخاطر، نجد أن كلماته مصبوغة بألوان فتّانة تحمل النفس حملاً على حبّها، بل إن عبلة هذه إذا نظرت فإنها تبدو:

وكأنما نظرت بعينَيْ شادنٍ
رَشَأ من الغزلان ليس بتوأمِ

فهو أيضاً يثري هذا البيت بأحلى المناظر، وقد ملأه بالغزلان، ولكنه استعمل ثلاثة ألفاظ مختلفة للظبي حتى لا يثير فينا الملل، فجعلها تنزل بعيني شادن ليس

له في العالمين مثيل. وهكذا امتلأت الصورة بعدّة غزلان لا بغزال واحد، وكما أمتع الخيال بصورة هذا الظبي أمتع الآذان بالجرس الموسيقي في حروفه مع خلط الشين فيها والنون ليزداد الحديث نغماً وترخيماً وشأشأة.

إن عنترة المحارب فنّان لا محالة، سواء أكان في العزف أم في التصوير، وكان تصويره الذي يأتي به غنيًّا شجاعًا، كما أنّ موسيقاه بعيدة التأثير.

ولعلّ عنترة كان مغرماً بلفتات عبلة، لأنه في موضع آخر لم يلبث أن يتذكر تلفّتها الذي يُذكره بتلفّت الظباء، فتراه يقول أيضاً:

وكأنما التفتت بجيد جداية

رشأ من الغزلان حُرّ أرثَمِ

ونراه يستلهم الإثارة الموسيقيّة مرّة أخرى عن طريق اللفظ في قوله: «جيد جداية» ثم في «رشأ من الغزلان حرّ أرثم»، وهو أيضاً يغير الكلمتين الأخيرتين في البيت حتى لا نشعر بنوعٍ من السأم إذا كرّر ما في البيت السابق، واستطاع عنترة أن يفيد من القافية الميمية في عدم تكرار الألفاظ بطريقة تبعث على الملل أو السأم.

وكان عنترة جادًا في سرد عواطفه الدقّاقة حين أنشأ معلّقته، وكان يتحدّث بجدّية وصرامة في كل بيت قاله، ولم يلجأ إلى إبراز أي من عقده الشخصية التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى في قصائده الأخرى. لقد كان موضوعه جدّيًا فأفاض في إبراز مشاعره بجدّية دون اللّجوء إلى السخرية أو المبالغة في الفخر. وكانت نهاية معلّقته بنفس المستوى من الجدّية، وكانت خاتمة رائعة لتلك الملاحم الحربية التي خاضها، والتي كسب حروبها في الحبّ والحرب والسلم. ووجد الوقت الكافي لوضع الخاتمة لقصيدته في هذه الأبيات:

ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُر
للحرب دائرةٌ على ابْنَيْ ضمضم
الشاتِمَيْ عِرضي ولم أشْتُمهما
والنـاذِرَيْن إذا لـم الـقـهـمـا دمي
إن يـفـعـلا فـلـقـد تـركـتُ أبـاهـمـا
جَـزَرَ الـسّـبـاع وكـلّ نـسـرٍ قَـشْـعَـم

هذه الجدّية وهذا التألّم لا نجده بنفس هذه القوة في قصائده الأخرى، ونحن إن أخذنا في الاعتبار مثلاً قصيدته التي مطلعها:

إذا كشف الزمانُ لك القناعا

ومدَّ إليك صرفُ الدهر باعا

فإننا لا نشعر فيها بالمرارة التي كان يحسّ بها في معلّقته، كما أنها لا تبرز لنا صرامته وجدّيته، بل نجد فيها كثيراً من التهكّم والسخرية، فهو يسخر من أعدائه ويتحدّى كل مَنْ يقف أمامه أو يتحدّث إليه، ونجد أن عقدة اللّون تبرز بوضوح إلى سطح نفسيته، فيقول متحدّياً:

أنا العبدُ الذي خُبّرتَ عنه

وقد عاينتني فدع السّماعا

كما أن المبالغة فيما يقول تظهر روح التحدي الذي تملّكه وجعله يستصغر كل شيء آخر حتى إنه:

إذا الأبطالُ فَرّتْ خوف بأسي

ترى الأقطارَ باعاً أو ذراعا

فهذه الخشونة في معاملة الأنداد باستعمال التهاويل في اللّفظ والمعنى إنما تدل على احتقار عنترة للكثيرين بسبب ما يلقى منهم من سباب.

وهو يعكس حياته الشابة الفتية بعكس ما جاء في

معلّقته، والتي لا شكّ في أنه أنشأها وقد اكتملت سنّه، ونال كثيراً من رجاحة العقل، ورزانة التفكير فأصبح يقول:

الشاتمَيْ عرضي ولم أشتمهما
والناذرَيْن إذا لم القهما دمي

لكن لم يحدث أن أسَفَّ في حديثه سواء أكان في شبابه أم في كهولته أم شيخوخته.

وما نتذوّقه في قصيدته العينيّة هذه نجده أيضاً في قصائده القصار الأخرى، فهي قصائد قليلة الصرامة، نحيلة الجدّية، ولكنها مع ذلك تبرز شخصية عنترة المكافحة التي تهرع إلى القتال في سبيل العشيرة. ومواقفه الرائعة تبدو متألّقة في الاستجابة لداعي القتال كما في هذه المرّة:

سكتُّ فغرَّ أعدائي السكوتُ
وظنّوني لأهلي قد نسيتُ
وكيف أنام عن سادات قوم
أنا في فضل نعمتهم ربيتُ
خُلِقتُ من الحديد أشدَّ قلباً
وقد بَلِيَ الحديدُ وما بَلِيتُ

فما للرمح في جسمي نصيبُ

ولا للسيف في أعضايَ قوتُ

فالعرفان بالجميل الذي ذكره عنترة هنا يُوضح الوفاء الذي يكنّه هذا الفارس لقبيلته رغم ما يناله منها من أذى وإساءة.

إنّ مثل هذا الولاء للقبيلة الذي ينضح به شعر عنترة يعبّر عن حبٍّ عظيم للإنسان، بل وأيضاً للجمال في شخص عبلة، وللمثل العليا في كفاحه عن القبيلة، وللانتماء للعروبة حين يصارع الفرس. ونجد في القيم الأخلاقية التي يتحلّى بها اختلافاً كبيراً عن تلك الأخلاق التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، كما أننا نجده في كلّ واقعة من هذه الوقائع يتفجّر كالينبوع بالفرح والرّضا، أو بالألم والصبر. وهو يواجه كل أمر مدلهم بعقيدة ثابتة، وإيمان قوي بما كان يقوم به من أفعال.

استطاع عنترة أن يوضح ما كان يخالج نفسه من مشاعر في حروبه وكفاحه، وكان فناناً متمكناً من فنّه حين وصف المعارك، كما أنه كان قوي الملاحظة حين أخذ يصوّر ما يراه من صور الحياة اليومية، وظهرت براعة ريشته في شتّى اللوحات التي رسمها، فمن هجوم على الفرسان، إلى شكوى الجواد، إلى ازْورار للناقة،

وغير ذلك من الملاحظات التي أثبتت مقدرته الشاعرية، فكنا نرى هذه الصورة تمرّ بنا في حيوية دافقة، وألوان قوية فنمتّع أعيننا وأسماعنا من حركتها وألوانها.

برع عنترة كذلك في تصوير إنجازاته في ساحة الحرب، وعمد إلى ذكر طائفة من الأسماء ممن سقطوا صرعى بسيفه أو رمحه، ووضع أسماءهم في قائمة اكتظّت بهم. وكانت عبارة عن نوط للجدارة والشجاعة استحقّه لبلائه العظيم في وقتٍ لم تعرف فيه الأنواط والميداليات. وكيف لا يُمنَح مثل هذا النوط، وهو الذي صرع كل هؤلاء؟

ولقد نكبتُ بني حريقة نكبةً
لما طعنتُ صميم قَلْبِ الأخْيَلِ
وقتلتُ فارسَهم ربيعةَ عنوةً
والهيذُبانَ وجابرَ بنَ مهلهل
وابني ربيعةَ والحريس ومالكاً
والزبرقان غدا طريحَ الجندل

فهذه القائمة من القتلى وضعت بطريقة فنّية ـ إن كان في القتل فنّ ـ تجعل القارىء يقتنع بصحتها كأنما كانت صادرةً عن رئاسة للقوات المسلحة، وهي تذيع هذا البيان.

ولقد كان حاذقاً في تصوير قدرته في القتال وتوضيح عدد ضحاياه ممن نكبهم، وكان في استعماله لكلمة نكب هذه أحسن الوقع وأقواه وأقربه إلى الحقّ في وصف ما لحق ببني حريقة من دمارٍ ونكبة. وهذا اللفظ «نكبة» من الألفاظ التي قلّ أنْ تُستعمل في الشعر ولا نجد لها مناسبة أكثر مطابقة من مثل هذه المجزرة التي حلّت بهذه القبيلة، بل إن ربيعة وابنيه قتلا بيد عنترة في ذلك اليوم، فحلّ بالعائلة الدمار وعمَّها الحزن، كما أنه لا شكّ في أن ذلك اليوم كان من أشأم أيام تلك القبيلة، كما كان لعنترة وبني عبس من غرر أيّامهم.

كثر الدم الذي سفكه عنترة، وتكاد كل قصيدة أو مقطوعة من شعره لا تخلو من ذلك الدّم المسفوك. وكانت صور هذا الدم تأخذ أشكالاً مختلفة يعبّر بها عن ذلك بمعانٍ شتّى؛ فهو يذكر أحياناً عن نفسه:

وخضتُ بمهجتي بحرَ المنايا
ونارُ الحرب تَشتَقِد اتّقادا
وعدتُ مخضَّباً بدم الأعادي
وكَرْب الرَكْضِ قد خضب الجوادا

لكن هذا الدم ما يلبث أن يزداد ويطغى ويفيض

كأنه نهرٌ عميق، وعند ذاك نجد جواده المحجل ذا القوادم البيضاء قد أخذت قوائمه تنصبغ بالدماء، فلم يعد هو ذلك الجواد المحَجَّل:

خاض العجاجَ مُحَجّلاً حتى إذا

شهد الوقيعة عاد غير مُحَجّل

بل إنه لا يكتفي بما جرى على الأرض من دم، فنراه يعمد إلى المبالغة التي هي من أهمّ صفات المقاتل، ولازمة من لوازم المحاربين في كل زمان ومكان، وفي كل قبيلة وأُمّة، وإذا به يقول:

وإني قد شربتُ دمَ الأعادي

بأحقاف الرؤوس وما رويتُ

وماذا عسانا أن نفعل إذا لم يروه كل ذلك الدم الذي شربه أو سكبه؟ إن هذه المبالغة التي يعمد عنترة إليها هي من المبالغات المألوفة في النفس البشرية، ونقبلها ونتشبّث بما تحويه من معنى لنقنع أنفسنا بأننا وعنترة سواسية في هذا المضمار، بل إننا لا ننكر مثل هذه الشجاعة على عنترة أو علينا، ونمضي في الحديث عن أنفسنا بمثل الروح التي تملّكت عنترة:

وفي الحرب العوانِ ولدتُ طفلاً

ومن لبن المعامع قد سُقِيتُ

فما للرمح في جسمي نصيبٌ

ولا للسيف في أعضايَ قُوتُ

وعندما نجنح إلى السِّلم نبدأ في الحديث عن الأهوال في المعارك، وكيف كنا نواجهها مع عنترة، ونعجب السمار الذين يستمعون إلينا دون أن نعبأ بتصديقهم لما نقول أو تكذيبهم له. إنه يكفينا أننا سردنا ما في نفوسنا وبحنا به لكي لا نكون مثقلي الضمير، وبعد ذلك يمكننا أن ننام بأعين قريرة.

والسلم وقت جميل، وهو وقت الكلام واختراع المعاني والأفعال التي لا يمكن أن يعرف كيف يقولها المحارب في أيام القتال لأنه لا يجد وقتاً لها أو فكراً للتعبير عنها. ولذلك، فإن عنترة يتحدّث عن تلك الأهوال، وعن عظيم أفعاله وهو في بحبوحة السلم المؤقت القصير الأجل. وفي هذه الفترة يعمد إلى ابتكار المعاني واختراع الصور الشعرية بعد أن تكون نفسه قد امتلأت بالأفكار الشاعرية التي تعينه على التنويع في استنباط الأخيلة أو صياغتها في صور. ويسمو بيانه لأنه يتحدّث بلغة محدّدة الأبعاد هي لغة الحرب والحبّ،

وينجح في كسائها وطلائها لفظاً ومعنى عن طريق الكلمات ذات الجرس الأخّاذ. كما تظهر سرعة خياله وخصوبته فيما يرسمه لنا من صور. وخير أمثلة على ذلك ما جاء في معلّقته حين يتحدّث عن الروضة وما فيها من ماء وغدران، بل وذباب أيضاً، وفي قصيدته اللامية حين يتحدّث عن الجواد المحجل وهو يخوض العجاج ليعود غير محجّل بسبب خضاب حجوله بالدماء. في كل هذه الصور ينجح عنترة في التعبير عن عواطفه بدقّة وحيوية ويعكس لنا قوّة ملاحظته في رؤية صور الحياة، فيقرّبها إلينا حتى لنكاد نلمسها حسًّا ومعنًى.

ومع أن عنترة يستعمل بعض الكلمات أو الجمل التي لا حاجة لنا بها، بل نراها حشواً لا داعي له مثل قوله في المعلّقة:

هلا سألتِ الخيلَ يا ابنة مالكِ

إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

وبالطبع، فإن عبلة تجهل ما لا تعلم ككل الناس، وهذه جملة زادها عنترة اعتماداً على أنها أصلاً: «إن كنت بما لم تعلمي جاهلة»، ومع أن هذا التركيب يخفّف من مصيبة الزيادة، إلا أنه ليس ذلك بمقنع غاية

الإقناع، ولا بدّ أن نعترف بأنّ هذه زيادة أوجبتها العاطفة والقافية والرغبة في الحديث، والحديث المعاد.

وقد نجد في عنترة أحياناً اقتصاداً في الكلمات يجعل المعنى بعيد المتناول كما في بعض أبيات معلّقته، مثل الشطرة الثانية في المطلع. ونجد أن المعلّقة في الوقت الذي تحوي فيه عملاً فنيًّا رائعاً إلا أنها في بعض الأبيات لا تخلو من هنات ذكرناها في حديثنا عن المعلقة. ومما لا ريب فيه أن العمل الفني المعقّد العميق تنتابه بعض جوانب الهنات والقصور، ولكنها لا تؤثر على مستواه لأنها ذرّات في محيطٍ واسع.

أما بقية قصائده القصيرة، فهي ليست بنفس المستوى من العمق، وهي في صورها وألفاظها ومعانيها تجنح إلى الأسلوب المباشر في الوصول إلى نفوسنا ومخيّلاتنا، وتجد قبولاً عاطفياً لدينا بسهولة وإمتاع. وفيها مبالغات حلوة لذيذة، ولكننا مع ذلك نصدّقها إلى درجة تجعلنا نستشهد بها في حياتنا اليومية، وما ذلك إلاّ لأننا بعملية نفسانية لا شعورية نضبط تفكيرنا الذي يقودنا إلى الواقع لكي نتمتّع بتلك المبالغة الممزوجة بالأكاذيب، وعندها نقتنع بأنّ ما نسمعه حقيقة لا مراء فيها، وبالطبع هذه العملية لا تأتي عن طواعية وشعور مقصود ولكنها أمرٌ لا شعوري؛ فمثلاً عندما يتحدّث

عنترة عن أنه سُقِي من لبن المعامع حين قال:

وفي الحرب العوان ولدتُ طفلاً
ومن لبن المعامع قد سقيتُ

فإننا لا نذهب بخيالنا إلى أن هذه المعامع عبارة عن أبقار، وأن عنترة شرب من لبن تلك الأبقار ـ كلا، فإننا بطبيعة الحال لا نفكّر في مثل هذه المحسوسات، بل نكتفي بالحقائق الخيالية التي هي تضاهي الحقائق الفكرية من حيث القبول والإيمان بها.

لذلك، فإنّ شعر عنترة عظيم لأنه يعبّر عن حبٍّ عظيم مخلص للإنسان في شخص عبلة. ويتغنّى بالمثل العليا في كفاحه عن القبيلة، وهو في كل واقعة من الوقائع يتفجّر كالينبوع بالفرح والرضاء عمّا يأتي به عن عقيدة راسخة.

وهو يجيد الوصف بما يشغل باله بصفة رئيسية كالقتال وقتل الأبطال والمعامع، ولكن هذا فنّ محصور. وفي وصف الجواد اهتمّ بالمسائل النفسانية والآلام التي تنتاب جواده، بدلاً من وصفه كما فعل غيره وخاصة امرؤ القيس في معلّقته، وأبو تمام في العصر العباسي. وقد برع عنترة في إبراز المعنويات أكثر من تصوير الحسّيات؛ لأن الرعب والحب والمشاعر

الأخرى هي التي شغلت ذهنه. وحتى في معالجته للمرأة وجمالها لم يعمد إلى طريقة رصفائه من أمثال عمرو بن كلثوم أو امرىء القيس أو النابغة أو طرفة؛ لأن عنترة في شعره عن المرأة لا يُثير الغرائز الجنسية، بل يستقطب فينا الشهامة والرجولة لكي نقف من المرأة موقف المدافع عنها. وبهذا الأسلوب يتملّك فنّه علينا مشاعرنا وعواطفنا النبيلة لنقف معه صفًّا واحداً.

هذه الفحولة التي تعجبنا في شعر عنترة مستمدّة من عدم الخوف وتحقير الموت وتحدّيه، ومن ثم تبدو هذه الأشياء والكلمات كأنّها موسيقى «المارشات» الحربية التي تُعزف لنا للخروج إلى ساحات القتال.

لم يختلف عنترة عن سائر الشعراء في المواضيع التي طرقها فحسب، بل إنه كان مجدداً في نمط القصيدة. ففي كثير من قصائده لم يبكِ على الأطلال، ولم يذرف الدموع على الرسوم، بل كان يطرق المواضيع التي يريدها مباشرة، فهو إن أراد أن يتوعد النعمان بن المنذر لم يسر على النهج الذي كان يسير عليه الآخرون، بل نراه يتحدّث:

لا يحملُ الحِقْدَ مَنْ تعلو به الرُّتَبُ

ولا ينال العُلاَ من طبعُهُ الغضبُ

ثم يمضي في توعده ذلك دون أن يتعرّض إلى حبيبته وديارها وأطلال تلك الديار، وهو بدلاً من أن يحنّ إلى ديار الأحبّة يستعيض عن ذلك بحنين آخر:

أحِنّ إلى ضرب السيوف القواضبِ
وأصبو إلى طَعْن الرماح اللَّواعبِ

أو نراه في موقفٍ آخر يقول:

أعادي صرف دهر لا يُعادَى
وأحتمل القطيعةَ والبعادا
وأحمل نصحَ قومٍ ضيّعوني
وإن خانت قلوبُهُمُ الودادا

ويمضي عنترة في كثير من قصائده وهو ينحو هذا الأسلوب المباشر في ذكر ما يريد أن يقول دون اللجوء إلى الوقوف على الأطلال كغيره من الشعراء. وقد كان هذا الأسلوب في نمط القصيدة مقبولاً من عنترة منذ أن أعلن ذلك في معلّقته عندما تحدّث عما إذا كان الشعراء قد غادروا من متردَّم. ولذلك، فإنّه عندما نظم قصائده القصار أو شبه الطوال لم يجد النقّاد القدماء فيها عيباً يعيبونه عليه. ويبدو أنه لم يكن كثير الاهتمام بالبكاء على الدمن والرسوم بأكثر مما كان يتطلّبه بناء قصيدته

المعلّقة التي كانت مجاراة لما يقوله غيره من الشعراء، وما ذلك إلا لأن الحرب الضروس التي لم تنقطع شغلته عن مثل هذا البكاء، وكان بحكم ممارسته للشدائد غير جدير به أن يسكب الدموع في تلك الرسوم.

هكذا نرى أن عنترة في صنعته الفنية كان مجدداً في نمط القصيدة، كما كان بارعاً في تصوير الحياة التي كان يعيش فيها. وكان قديراً على إبراز عواطفه بصدق وقوّة تأثير جعلتنا نستسيغ شعره، ونصدق مبالغته، ونعيش معه بين طعن الرماح وضرب السيوف. تماماً كما كان يفعل عنترة عندما كانت تنهاه أُمّه عن تعريض نفسه للهلاك، وهذا طرفة يخاطب ناصحه:

ألا أيهذا الزَّاجري أحضُرَ الوغى
وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت مُخْلِدِي
فإن لم تكن تَسْطِيع دفعَ مَنِيّتي
فدَعْني أبادرْها بما ملكتْ يدي
لعمرُك إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى
لكالطِّوَلِ المرْخَى وثِنياهُ باليد

واشترك مع عنترة وطرفة عدد من الشعراء في نفس هذه الفلسفة زاعمين أن مواجهة الموت لن تكون نتائجها الفناء دائماً. وهذه فلسفة استمدّها الأعرابي من

واقع حياته، ولازمته في جاهليّته وإسلامه. ولذلك لم يخش كثير منهم الموت. ولكن وسط ذلك العجيج من الفدائيين نجد التي أوحت إلى زهير أن يتحدّث عن الموت، ويصف ما يشاهد:

ومن هاب أسبابَ المَنايا يَنَلْنَهُ
وإن يرقَ أسبابَ السماء بسُلّم
رأيت المنايا خَبْطَ عَشْواء من تُصبْ
تمتْهُ ومن تخطىء يُعَمّرْ فيَهْرَمِ